متى عاش يسوع وأين وكيف؟

تأليف: تومي ثاوس

لا تبدأ قصة يسوع في الأناجيل بعبارة «كان في الزمان القديم رجل اسمه يسوع ...». يبدو أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها الناس عنه، بدلاً من كونه عاش حقاً في وقت محدد من التاريخ والزمان؛ ولكن ليس هذا ما تقوله الأناجيل. استمع إلى التشديد المثير للاعجاب الذي وضعه لوقا على الخلفية التاريخية لحياة يسوع وخدمته:

> وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ، إِذْ كَانَ بِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ وَالِيًا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الْجَلِيلِ، وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى إِيطُورِيَّةَ وَكُورَةِ تَرَاخُونِيتِسَ، وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الأَبِلِيَّةِ، فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ (لوقا ٣: ١ و٢).

ذكر لوقا اسم أمبراطور روما ووالي اليهودية وبضع رؤساء الأرباع لعدد من المناطق في فلسطين ورئيس الكهنة اليهود آنذاك وسلفه المباشر في الزمان الذي بدأ فيه يوحنا المعمدان ويسوع خدمتهما العامة. هكذا أيضاً يقول متى أن يسوع وُلد في بيت لحم اليهودية «فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ» (متى ٢: ١). جميع الحُكَّام الذين ذكرَهما متى ولوقا معروفين تمام المعرفة لدى المؤرخين من مصادر خارج العهد الجديد. ويمكن تحديد تواريخهم إلى حد معقول بالمعلومات المتاحة. وسريعاً ما اتضح أن كُتَّاب الأناجيل حددوا حياة يسوع في زمان ومكان محددين في التاريخ. متى كان ذلك الزمان، وأين كان ذلك المكان؟

متى عاش يسوع؟

بغض النظر عن الزمان الطويل والمسافة الشاسعة بيننا وبين يسوع، إلا اننا قد نرتب بعض تواريخ {أحداث} حياته بتأكيد معقول، ما دمنا لا نصر على تحديد السنين بالضبط. فلنبدأ بميلاده.

يخبرنا إنجيل متى ٢: ١ بان يسوع وُلِد «فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ» (راجع لوقا ١: ٥). مع أن روما كانتَ تسيطر سيطرة تامة على فلسطين خلال زمان يسوع ولعدة قرون بعد ذلك {الزمان}، الا أن الرومان سمحوا لليهود بان يكون لهم «ملوك كالدمى»—حُكَّام يتم إختيارهم من قبل روما والذين كانت مهمتهم الأولى هي حماية مصالح الأمبراطورية. ورد ذكر خمسة هيرودسيين في كتاب العهد الجديد، إذ أن كلمة «هيرودس» هي منصب سلالي وليس اسم علم[1].

هيرودس الذي كان يحكم في زمن ميلاد يسوع هو المعروف بـ«هيرودس الكبير». ونعرف الكثير عنه (وفي الأغلب من يوسيفوس)، وقد كان شخصية مثيرة للاهتمام. كان مستبد ووحشي يؤمن بالخرافات، والذي يقتل كل وجميع الذين كان يشتبه في أنهم يشكلون تهديداً لسلطانه. هذا موضح برواية «مذبحة الأبرياء» الواردة في إنجيل متى ٢: ١٦-١٨، الحدث الذي لم يؤكده غير كُتَّاب الكتاب المقدس ولكنه يتوافق تماماً مع ما نعرف من شخصية هيرودس. إذن، لما اسموه بـ«الكبير»؟ انه كان مسؤول مقتدر له علاقة جيدة مع الرومان (جيدة أكثر مما ينبغي كما كان يظن معاصريه اليهود) وقد أنجز عدد من مشروعات بناء مثيرة للاعجاب. وكان الأكثر أهمية من بين تلك هو تجديد وتوسيع هيكل أورشليم، والذي حوله إلى مجمع من المباني المذهلة والمتاخمة. (بدأ هذا المشروع خلال فترة حكمه ولم يقترب من الاكتمال في تلك الفترة). كيف يساعدنا كل هذا في تحديد تاريخ ميلاد يسوع؟ قال يوسيفوس أن هيرودس الكبير حكم من سنة ٣٧ق.م. إلى

[1] الأربعة الآخرون هم: (١) هيرودس أنتيباس (متى ١٤: ١) الذي أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان. (٢) فيلبس أخو أنتيباس الذي أخذ أنتيباس زوجته لنفسه، مما أدى إلى قطع رأس يوحنا {لأن يوحنا كان قد عارض ذلك} (مرقس ٦: ١٧). (٣) هيرودس أغريباس الأول (أعمال ١٢) الذي قتل يعقوب الرسول {أحد الاثني عشر}. (٤) هيرودس أغريباس الثاني (أعمال ٢٦) الذي استمع إلى دفاع بولس.

سنة ٤ق.م. ويخبرنا العهد الجديد بان يسوع وُلِد خلال حُكْم هيرودس. المقطع «ق.م.» (أي «قبل ميلاد المسيح») هي مشكلة لأنه حسب تقويمنا الحالي يكون يسوع قد وُلِد «ق.م.»! هناك خطأ في التقاويم. من المفترض أن يبدأ حساب السنين من بعد ميلاد يسوع، ولكن دنيس الأصغر (الراهب الذي ابتكر تقويمنا) قد أخطأ قليلاً في الحساب. عند فحص ذلك، نجد أن ميلاد يسوع يقع في وقت ما في سنة ٤ق.م. أو قبلها بقليل، وفي الوقت الذي كان هيرودس الكبير على قيد الحياة ويحكم.

انظر عن كثب في إنجيل متى ٢: ١٦-١٨ (عندما قتل هيرودس جميع الأطفال الذكور في بيت لحم أملاً في أن يهلك يسوع بذلك). ربما كان يسوع يبلغ من العمر سنتين عندما حدث ذلك. ظن هيرودس بانه سيضمن قتل الملك المولود الجديد بقتل «جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ». لقد كان حريصاً في حساب ذلك، لهذا قد نستخلص بأمان أن يسوع ربما كان قد بلغ السنتين من عمره أو أقل بقليل. عندما يضع معظم العلماء كل هذا معاً يستخلصون أن ميلاد يسوع حدث في وقت ما بين سنة ٧ق.م إلى سنة ٥ق.م.

المرجع التالي لتأريخ حياة يسوع هو بداية خدمته التبشيرية العامة. نجد هنا بعض مساعدة مباشرة من أحد الأناجيل. يقول إنجيل لوقا ٣: ٢٣ أن يسوع «كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً» عندما بدأ خدمته. كلام لوقا هذا غير محدد بقدر ما نريد (هل كان عمر يسوع ٢٨ سنة بالتحديد؟ أم ٣٠ سنة؟ أم ٣٢ سنة؟)، ومع ذلك قد يكون مفيداً، يتضح مما تخبرنا به الأناجيل، أن يسوع عاش في غموض نسبي حتى الزمان الذي ظهر فيه لكي يتعمد من قبل أحد أنسبائه، الذي هو يوحنا المعمدان. يحدد إنجيل لوقا ٣: ١ و٢ خدمة يوحنا المعمدان في «السَّنَةَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ»، وكان ذلك في حوالي ما بين سنتي ٢٧م و٢٨م. يتناسب هذا تمام التناسب مع ما قد اثبتناه سابقاً — إي أن يسوع وُلد في ما بين سنتي ٧ق.م. إلى ٥ق.م. وكان «نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً» عندما بدأ خدمته العامة (في حوالي الزمان نفسه الذي بدأ فيه يوحنا المعمدان خدمته).

قد نمضي أكثر من هذا لنحسب مدة فترة خدمة يسوع بالتقريب. بما أن خدمته العامة انتهت بموته، سنعرف عن الزمان الذي مات فيه وعمره بالتقريب إن كنا نثبت طول فترة خدمته—بأي تأكيد معقول—وسنثبت ذلك.

ونفعل هذا بالإشارة إلى عدد المرات التي تقول فيها الأناجيل أن يسوع ذهب إلى أورشليم للاحتفال بعيد العبور {أي «الفصح»}، وكان ذلك من أهم أيام الأعياد الكبيرة في كل سنة يهودية. يذكر كل من الأناجيل المتشابه المحتوى (متى ومرقس ولوقا) عيد فصح واحد فقط حضره يسوع في أورشليم—في العيد الذي صُلب فيه. إن كان هذا كل ما نعرف، قد نستخلص أن خدمة يسوع العامة (أي من زمان معموديته وتجربته في البرية حتى موته) دامت لسنة واحدة فقط أو أقل. ولكن إنجيل يوحنا يدل على خدمة ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات، إذ انه يذكر ذهاب يسوع إلى أورشليم للاحفال بعيد الفصح ثلاث مرات في أزمنة مختلفة (يوحنا ١: ١٣؛ ٦: ٤؛ ١١: ٥٥). ويغطي هذا فترة زمنية ما بين سنتين على الأقل إلى ثلاث سنوات على الأكثر. إذا كانت خدمته العامة قد بدأت ما بين سنتي ٢٧م إلى ٢٨م، كما حسبناه سابقاً، يكون يسوع قد مات في حوالي سنة ٣٠م. يتزامن هذا مع مصادر علمانية (أي مصادر لا توجد في الكتاب المقدس) بما يختص بيسوع والحركة التي بدأها (أي الكنيسة).

عند الإجابة على السؤال القائل «متى عاش يسوع؟» قد نجيب ونحن مطمئنون أنه وُلِد ما بين سنتي ٧ق.م. إلى ٥ق.م. تقريباً؛ وبدأ خدمته العامة في ما بين سنتي ٢٧م و٢٨م؛ ومات في حوالي سنة ٣٠م. هذه خُلاصات أقرب إلى الحقيقة بنسبة لشيء حدث قبل ألفين سنة!

أين عاش يسوع؟

يقدم العهد الجديد أدلة وافرة (مقارنة مع المصادر الأخرى) بان يسوع عاش ومات في المنطقة التي تسمى بفلسطين.

لهذه المنطقة تاريخ طويل وغني مع انه كثيراً ما كان مأساوي. وكانت هي أرض الميعاد الذي قال الله انه كان سيعطيها لشعب إسرائيل، قبل تسميتهم بـ«شعب إسرائيل». بعد هربهم من عبودية مصر قادهم الله في البرية لمدة أربعين سنة بسبب عدم إيمانهم. (لكانوا قد نالوا وعد الله قبل ذلك الوقت بأربعين سنة! راجع الأصحاحين

١٣؛ ١٤ من سفر العدد). وأخيراً استطاعوا أن يعبروا نهر الأردن إلى أرض الميعاد. كانت تلك المنطقة معروفة في ذلك الزمان بـ«كنعان» وكان سكانها هم «الكنعانيون». حالما احتل الإسرائليون هذه الأرض، أصبحت معروفة بـ«إسرائيل». وفي ما بعد أسماها الرومان بـ«فلسطين»، وتسمى حتى في يومنا هذا بهذين الاسمين الأخيرين.

فلسطين دولة صغيرة. لقد كانت بحجم ولاية ميريلاند الأميركية أو نصف حجم دولة توغو الإفريقية. بعد ما استولى الإسرائيليون على هذه الأرض أصبح لها تاريخ مثير، إن لم يكن مجيداً دائماً. كانت فلسطين الواقعة ما بين النهرين (حيث كانت ممالك آشور وبابل وفارس) من جهة ومصر من جهة أخرى، مرغوب فيها بغض النظر عن صغر حجمها. جعلت الحملات العسكرية بين الدول الكبرى السيطرة على فلسطين ذات أهمية كبرى. كانت بالعادة «دولة حاجزة» بين دول أعظم منها. كانت قد تمتعت بقدر من السلطة والاستقلال السياسي خلال عهود الملوك الثلاثة الأولى (شاول وداود وسليمان)، ولكنها بعد ذلك أصبحت ضعيفة جداً. وأيضاً، بما أن السيطره على هذه المنطقة كانت ذات أهمية استراتيجية بهذا القدر، فهي كانت تحت سيطرة بعض القوى الأجنبية دائماً تقريباً.

كانت القوة الأجنبية المتسيدة في زمان يسوع هي روما، وقد استولت على فلسطين في سنة ٦٣ق.م. واستمرت بالسيطرة عليها خلال فترة العهد الجديد وما بعده. سيطر الآشوريون والبابليون والفُرْس والاغريق والرومان بالتتابع على هذا البلد سيء الحظ. ما قاله بعض اليهود في إنجيل يوحنا ٨: ٣٣ («إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! ...») قد نعتبره كعلامة الكبرياء القومي على حساب التاريخ. ولكن في الحقيقة كانوا عبيداً للجميع تقريباً! حتى في الوقت الذي كانوا يتكلمون فيه لم يكونوا شعب حر. كان الرومان يسيطرون عليهم سيطرة تامة. ولكنهم سمحوا للهيرودسيين أن يكونوا «حكام دمية». واليهرودسيون أنفسهم ليسوا من دماء يهودية نقية، بل ادوميون نسل عيسو أخو يعقوب التوأم (الذي أصبح اسمه إسرائيل). لهذا فان دولة فلسطين في الزمان الذي وُلد فيه يسوع كانت في اضطرابات عظيمة سياسية وروحية دائمة. كان ذلك هو العالم الذي ولد فيه يسوع ومات فيه.

قد نحدد بأكثر دقة مكان ميلاد يسوع. قال كل من متى ولوقا أن هذا الحدث وقع في بيت لحم، وهي قرية تقع على مسافة خمسة أميال جنوب أورشليم (متى ٢: ١؛ لوقا ٢: ١-٧). ولكن في ما بعد أصبح يسوع معروفاً بـ«الجليلي». والجليل هو الجزء الشمالي الأقصى من فلسطين. لماذا وُلد في بيت لحم في الجنوب؟ أوضح لوقا السبب في ذلك. أي انه كان بسبب الأحصاء الذي كان يتطلب من كل رب أسرة أن يذهب إلى منطقة أجداده، ليس للاحصاء فحسب، بل أيضاً ليخضع للضرائب. قام والدي يسوع مريم ويوسف الرحلة الطويلة من ديارهما في الناصرة الجليلية إلى بيت لحم. وكان يوسف «مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ» حسب ما قال لوقا، لهذا كان عليه أن يذهب إلى بيت لحم «مدينة داود». لم يشاء أن يترك وراءه خطيبته الحامل، لهذا قاما كلاهما برحلة الشاقة، وهناك وُلِد يسوع. تنقلات يوسف وأسرته غير واضحة بالضبط. يخبرنا إنجيل لوقا ٢: ٣٩ ببساطة أنه بعد تقديم يسوع في الهيكل في أورشليم وهو في الأربعين يوماً من عمره (راجع لاويين ١٢: ١-٦)، «رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ». ولكن إنجيل متى ٢: ١٣-٢٣ يقول أنه في وقت ما بعد ميلاد يسوع، حلم يوسف حلماً فيه إنذاراً بأن يهرب إلى مصر لمنع هيرودس من قتل الطفل يسوع. خلال سلسلة من التدخلات الإلهية، رجعوا أخيراً إلى مدينتهم الناصرة. من المحتمل جداً أن هذا «الهروب إلى مصر» حدث في وقت لاحق من الأحداث الوارد ذكرها في الأصحاح الثاني من إنجيل لوقا. تربى يسوع في الناصرة بغض النظر عن الوقت المحدد (لوقا ٤: ١٦).

كيف عاش يسوع؟

نعرف الكثير عن أجداد يسوع إذ أن كل من الأصحاح الأول من إنجيل متى والأصحاح الثالث من إنجيل لوقا يمداننا بسلاسل نسب مفصلة. كانت سلاسل نسب مثل هذه هامة جداً في المجتمع اليهودي كطريقة يثبت بها الشخص نسبه الشرعي والروحي، ويوجد في العهد القديم الكثير منها. اهتم متى بسلسلة نسب يسوع اهتماماً كبيراً، فقد افتتح إنجيله بها. قد نجد صعوبة في قراءة الأسماء الواردة بها؛ ولكن بالنسبة ليهود القرن الأول، فان

قراءة الأسماء من العهد القديم التي سبقت ولادة يسوع قد يكون مثل النظر في الصور في ألبوم العائلة، كل اسم يعيد إلى الذاكرة بعض القصص من التاريخ الطويل للشعب اليهودي.

مع أن سلسلتي النسب في إنجيلي متى ولوقا متداخلتان إلى حد كبير، إلا انهما غير متطابقتان تمام التطابق. يبدأ متى بإبراهيم «أبو الشعب اليهودي»، ويستمر إلى الأمام وصولاً إلى يسوع. أما لوقا من ناحية أخرى، فيبدأ بيسوع رجوعاً إلى آدم ثم إلى الله نفسه. والسبب لهذا الفرق هو أنه كان لهذان الكاتبان أغراض مختلفة من اعطاء هاتين السلسلتين للنسب. أراد متى أن يقدم يسوع كإسرائيلي حقيقي وحفيد الملك داود، مؤهل تمام التأهيل ليكون مسيا إسرائيل. وأما إنجيل لوقا الأكثر شمولية لا يصف صلة يسوع مع اليهودية فقط، بل ومع البشرية كلها. تثبت الأناجيل مكانة يسوع في التاريخ اليهودي وفي عائلته. كان يسوع من سبط يهوذا وسليل بعض الأشخاص الأكثر شهرة، ولكنه أيضاً سليل بعض الخطاة السيييء السمعة.

نعرف القليل عن يوسف ومريم، غير انه يبدو انهما كانا زوجان يهوديان عاديان، ما عدا ابنهما المشهور. كان يوسف يعمل بحرفة النجارة (متى ١٣: ٥٥)، ومن المحتمل أن يسوع تعلم هذه الحرفة أيضاً. فانه معروف حتى في يومنا هذا بـ«نجار الناصرة». لم يرد الكثير عن يوسف في سجلات ميلاد يسوع. (ورد اكثر في إنجيل متى مما ورد في إنجيل لوقا؛ واما إنجيل مرقس، فلم يُذْكر شيئا). لم يلعب يوسف أي دور أبداً في قصة يسوع من هذه النقطة فصاعداً. ولهذا، يُعتقد انه ربما مات بحلول الزمان الذي بلغ فيه يسوع سن البلوغ، ما انه لا يمكن التحقيق من هذا.

مريم هي الشخصية الأكثر إثارة من يوسف بسبب الولادة العذرية المكتوب عنها في إنجيلي متى ولوقا (أو بأكثر صحة «الحمل العذري»). نتصورها عادة في زمان ميلاد يسوع كامرأة شابة ناضجة، قريبة من عمر زوجها. ولكن كان البنات اليهوديات يخطبن ثم يتزوجن بين الثانية عشر والرابعة عشر من عمرهن. يضع هذا منظور مختلف على ظهور الملاك جبرائيل واعلانه لها! تصور بنت غير متزوجة {وعذراء} لا تتجاوز الرابع عشر من عمرها يقال لها انها ستحمل وتلد ابن الله! كان ذلك شهادة واضحة لتقوى مريم والإخلاص الذي كانت تمثله إذ استجابت: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لوقا ١: ٣٨). بعد ميلاد يسوع لم يرد ذكر مريم في الأناجيل إلا نادراً. لم يُنسب لها أي عمل عجائبي، ولم يُعْطى لها أي دور مستديم في الإيمان المسيحي والعبادة. تم تقديمها كشخصية مثيرة للاعجاب، مع انها غير كاملة بأي حال من الأحوال (راجع مرقس ٣: ٢١، ٣١-٣٥)؛ ولكن العهد الجديد لا يصورها كأي شيء آخر غير أم مكرسة.

بما يختص بحالة مريم ويوسف (ويسوع أيضاً) الاقتصادية، قد نقول فقط أنهم كانوا أسرة يهودية من الطبقة الفقيرة، من النوع الذي يُسمى بإزدراء من قبل الفريسيون والصدوقيون التعصبون دينياً، وذوي السلطة والنفوذ في المجتمع اليهودي بـ«شعب الأرض». كيف نعرف ذلك؟ ورد أحد الدلائل في إنجيل لوقا ٢: ٢٢-٢٤، والذي يتحدث عن تقديم الطفل يسوع في الهيكل. يطالب ناموس موسى والدي الابن البكر أن يقدما الخروف ذبيحة. ولكن هناك بديل لذلك يتمثل في «فَرْخ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ» بالنسبة للذين لا يستطيعون الحصول على خَروف (راجع لاويين ١٢: ٦-٨)، وأشار لوقا إلى أنه قدمت ليسوع ذبيحة الفقراء. إذن قد نستخلص بسهولة أن يوسف ومريم كانا في الحد الأدنى من الحالة الاجتماعية الاقتصادية في فلسطين؛ ولكن لا يجب أن نستخلص أنهم كانوا معوزين. على كل حال، كان يوسف صاحب مهنة، وليس هناك سبب للاعتقاد بانه لم يكن له دخل مناسب لأسرته بهذه الوسيلة.

كان ليسوع إخوة وأخوات بالإضافة إلى أبويه. انه لم يكن الابن الوحيد لوالديه، بل تربى في بيت مليء بالأطفال. ذكرت الأناجيل الأربعة جميعها انه كان ليسوع إخوة (متى ١٢: ٤٦ و٤٧؛ مرقس ٣: ٣١ و٣٢؛ لوقا ٨: ١٩ و٢٠؛ يوحنا ٧: ١-٥). ذكر متى ومرقس أسمائهم: يعقوب ويُوسي وسمعان ويهوذا. يعبر يوحنا بصراحة ان إخوة يسوع لم يؤمنوا به خلال خدمته على الأرض ويشير كل من متى ومرقس إلى ذلك بتضمين واضح. قال كل من متى ومرقس انه كان ليسوع أخوات (متى ١٣: ٥٦؛ مرقس ٦: ٣)، ولكن لم تُذكر أسمائهن. وكان هذا شيء عادي في اليهودية القديمة. بالإضافة إلى أدلة

العهد الجديد أذكر أيضاً كلام يوسيفوس بانه كان ليسوع أخ اسمه يعقوب، وقد ورد ذكره لأنه كانوا قد أتوا به إلى أمام السلطات اليهودية. بينما قال آخرون أن إخوة يسوع وأخواته كانوا بالحقيقة أقرباءه {أولاد عمه أو عمته، أو أولاد خاله أو خالته}. أو إخوة يسوع غير الأشقاء من زواج يوسف السابق لامرأة أخرى (وهذه فكرة لا تساندها أي أدلة تاريخية)، هذه كلها محاولات لإنقاذ وجهة نظر لاهوتي لا يساندها أي من الدلائل التي بحوزتنا. تشير الدلائل إلى أنه كان ليوسف ومريم بيت مليء بالأطفال (سبع على الأقل إن اعتبرنا انه كانت هناك أختين)، وهذه حالة عادية بالنسبة للأسرة اليهودية في القرن الأول الميلادي، بدلاً من أسرة بابن واحد فقط. هذه أدلة مقبولة.

نمط حياة يسوع

يوصف يسوع بانه كان «بلا مأوى»، إذ قال ذات مرة: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (متى ٨: ٢٠) ولأن الأناجيل تخبرنا بانه كان يتجول حول الجليل ويطوف الأطراف الجنوبية من اليهودية أيضاً. ولكن هناك مؤشرات تدل على انه كان يحصل عادة على غرفة في بيت ينام فيه عندما كان يتجول من مكان إلى آخر.

ظهر مؤخراً ادعاء معارض تماماً من قبل مؤيدي «إنجيل الصحة والثروة» (الذين يقولون أن الله يريد للجميع أن يكونوا أغنياء). يقولون أن يسوع كان إنساناً غنياً، ويشجعون المؤمنين على السعي من أجل الغنى. يفترض هؤلاء الأشخاص انه—بما أنه قُدمت ليسوع عطية غالية من الذهب واللبان والمُر عند ولادته (متى ٢: ١١) وبما انه كان له ما يكفي من المصادر للاعتناء بمجموعة كبيرة من المتجولين المتنقلين معه من مكان إلى آخر، لا بد انه كان غنياً. بينما لا نجد ما يدل على أن يسوع كان معوز، إلا انه لا يوجد هناك ما يدل على غناه. ولكن تعاليمه جعلت هذا مستبعد جداً (متى ٨: ٢٠؛ لوقا ١٢: ١٣-٢١؛ ١٦: ١٩-٣١) ولا تقدم عزاء للذين يجعلون الغنى أولوياتهم في يومنا هذا. إلى جانب ذلك، لم يفي يسوع باحتياجات الرسل من مصادره الخاصة؛ يوضح إنجيل لوقا ٨: ١-٣ أن النساء اللواتي كن يتجولن معه والرسل «كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ».

مع أن الأناجيل توضح بجلاء أنه كان ليسوع الكثير من الأعداء، إلا انها تشير أيضاً إلى انه كان له أيضاً صداقات ذات معنى. قضى الاثني عشر رسولاً معظم السنوات الثلاثة بصحبته، يتجولون معه ويتعلمون منه. يشير أعمال الرسل ١: ١٥-٢٦ إلى انه كان هناك آخرون أيضاً معهم، بما ان البديلين المحتملين ليهوذ الاسخريوطي كانا مع يسوع خلال كل فترات خدمته العامة. عند إضافة النساء المذكورات في الأصحاح ٨ من إنجيل لوقا نجد انه كان هناك عدد غير محدد من الناس يتجولون مع يسوع في أوقات مختلفة. يذكر إنجيل لوقا ١٠: ١ جماعة من سبعين شخص أرسلهم يسوع إلى المدن والقرى التي كان على وشك القيام بزيارتها. قد يُسمى أي من هؤلاء الناس أصدقاء/أصحاب يسوع.

وردت بإنجيل لوقا ١٠: ٣٨-٤٢ زيارة يسوع إلى بيت أختين اسمهما مريم ومرثا. نتعلم في وقت لاحق في الأصحاح ١١ من إنجيل يوحنا أنه كان لهاتين الأختين أخ اسمه لعازر وبان يسوع كان «يحبه» وأختيه (الآيات ٣، ٥، ٣٦). إذن يتضح انه كان ليسوع علاقة حميمة مع أناس أخرين غير التلاميذ. لا نستطيع أن نعرف كم كان عدد أصدقاء يسوع المقربين، ولكن ليس مدهشاً أن يكون لشخصية جذابة مثله أصدقاء مقربين، وخاصة انه كان قد صاحب أيضاً الناس الأكثر احتقاراً للمجتمع اليهودي (لوقا ١٥: ١ و٢؛ ١٩: ١-١٠).

اللغة والتعليم والرحلات؟

تدل كل المؤشرات على أنه كان ليسوع حياة عادية جداً باستثناء بدايتها الرائعة والسنوات الثلاث الأخيرة منها. ربما كل هذا هو السبب في أن الأناجيل لا تذكر شيء عنها خلال فترة عمره من سنتين إلى حوالي ثلاثين سنة (بإستثناء ذلك الحدث الوحيد الذي وقع عندما كان في الثاني عشر من عمره). ربما عاش في أغلب الاحيان الحياة العادية للشاب اليهودي.

ما هي اللغة أو اللغات التي تحدث بها يسوع بصفته يهودي عادي في القرن الأول الميلادي؟ لا شك انه تحدث الأرامية، وهي اللهجة اليهودية، التي كانت لغة شعبية في فلسطين. ورد بالأناجيل استخدام يسوع لبعض الكلمات الأرامية، مثل كلمة «أبا»، وهي طريقته المميزة لينادي

بها الله كـ «أيها الآب» (مرقس ١٤: ٣٦)، ونداءه من على الصليب: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (متى ٢٧: ٤٦). بما انه تربى في الجليل، التي كانت منطقة متأثرة جداً بالثقافة الهيلينية وتقريباً على مرمى البصر من صفورية على غرار المدن اليونانية، فمن المحتمل جداً انه كان يتحدث أيضاً اليونانية العامية (أي غير الفصحى)[٢]. استمرار اليونانية كلغة التجارة والمراسلات العابرة للحدود في حوض البحر الأبيض المتوسط كله هو شهادة للشمولية التي فرض بها الاسكندر الكبير الثقافة اليونانية على هذه المنطقة قبل ثلاثة قرون من ذلك الزمان. بما أن فلسطين كانت محتلة من قبل الرومان، هناك احتمال أن يسوع كان يعرف (أو على الأقل يفهم) اللاتينية إلى حد ما. استجواب بيلاطس ليسوع قد يؤدي إلى السؤال: «أية لغة كانا يتكلمان بها؟». طبعاً هناك احتمال انهما تكلما إلى بعضهما بواسطة مترجم. حتى وإن كان يسوع لم يتحدث اللاتينية بطلاقة، فمن المحتمل أن بيلاطس كان يتحدث الأرامية. قد نستخلص بأمان أنه بينما كانت الأرامية هي لغة يسوع الأصلية، إلا أن من المحتمل انه كان يعرف اليونانية وربما اللاتينية أيضاً.

لم يرد في كتاب العهد الجديد أي شيء عن يسوع وهو يتلقى تدريب/تعليم رسمي. ربما تلقى تعليمه في البيت كما كان ذلك عادة عند معظم الأسر اليهودية. وربما تلقى توجيهات أيضاً في المجمع المحلي بالناصرة. (يشير إنجيل لوقا ٤: ١٦ إلى انه كان يواظب على حضور المجمع). كانت بعض الأسر اليهودية تستاجر مدرسين خصوصيين لأولادهم؛ ولكن بما أن يوسف كان نجاراً، فإنه ليس من المرجح انه كان يستطيع توفير مثل هذا التبذير. ورد بإنجيل لوقا ٢: ٤١-٥٢ حوار يسوع في الهيكل مع معلمي الشريعة عندما كان في الثانية عشر من عمره فقط، ويقول النص: «وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ» (لوقا ٢: ٤٧). ولكن لوقا لم ينسب هذا إلى التعليم، بل ربما أراد للقارىء أن يفهم بان تلك المعرفة أتت إلى يسوع تلقائياً بصفته ابن الله. بعد هذه الرواية قال لوقا أن يسوع «نَزَلَ مَعَهُمَا {أي مع أبويه يوسف ومريم} وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا» (الآية ٥١). يدل هذا على انه أكمل طفولته في ظروف عادية جداً. حتى بهذه المعلومات القليلة جداً عن تعليم يسوع، لا يحتمل انه كان أمياً كما يزعم البعض—وخاصة مادام لوقا كتب عن مناسبة قراءته بصوت عالٍ في المجمع بالناصرة (٤: ١٦-٢٠).

ليست لدينا أدلة بان يسوع ترك فلسطين وسافر إلى بلاد نائية بإستثناء زيارته القصيرة إلى مصر عندما كان طفلاً صغيراً[٣]. هكذا أيضاً ليست هناك أدلة تاريخية تشير إلى أن كان قد تزوج قط أو كان له أطفال. لا تزال مثل هذه القصص تُخْتَرع عن يسوع، ولكننا نهتم هنا بالحقائق التاريخية وليس بالتخمين ولا بالأسطورة. لم يحدث أي من هذه الأشياء من وجهة النظر التاريخي.

من المدهش أن شخص ذو خلفية عادية جداً، عاش في مثل هذا المحيط العادي ولم يسافر قط خارج حدود بلاده، أن يكون له ذكر حتى يومنا هذا، ناهيك عن أن يكون له موضع اهتمام كبير مثل هذا. عاش يسوع ومات في فلسطين في زمان الأمبراطورية الرومانية. وقضى معظم حياته كيهودي قروي عادي (مع انه من الواضح لم يكن عادياً أبداً) وعانى الموت بالصلب بينما كان في حوالي الثالثة والثلاثين من عمره. لم تكن حياته طويلة بمعظم المعايير، ولكنها كانت حياة هامة. هامة إلى أي حد؟ إلى حد اننا ما زلنا نتحدث عنها اليوم!

---

[٢] كان الناس يتحدثون اليونانية العامية على نطاق واسع في زمان يسوع، وهذه تختلف عن اليونانية الفصحى. قال كريج إفانس أن التأثير اليوناني في صفورية كان أقل قبل سنة ٧٠م. مما أصبح عليه بعد ذلك الزمان. ولكنه اعترف بان الكثير من اليهود الجليليون كانوا يتحدثون اليونانية إلى حد ما. (كريج إفانس في كتابه بعنوان «Fabricating Jesus: How Modern Scholars Distort the Gospels» صفحات ١١٣-١٢٢).

[٣] للأسف لا يمنع هذا الناس عن محاولة إختراع عدد من رحلات يسوع {إلى خارج فلسطين}. هناك مثال مؤخراً لوليم دبليو مونتكاستل في كتابه بعنوان «The Secret Ministry of Jesus: Pioneer Prophet of Interfaith Dialogue» الذي يدعي على أساس مصادر تاريخية مشكوك فيها انه كانت ليسوع خدمة سرية في الهند والتبت والصين.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠